ردود فعل المستعمر ضد الحركة المسرحية المغربية
(وجدة نموذجا سنة 1934م)

د. عزيز زروقي
باحث في التاريخ والمسرح والسينما والدراما التلفزيونية
المغرب

-ملخص:

المسرح خَلق وإبداع وفن يضع فيه المبدعون مواهبهم وآفاقهم وفكرهم وثقافتهم لتزهو الحياة وتزهر تبنته الحركة الوطنية وجعلته مركزا للمقاومة ضد المحتل، وكانت مسرحيات هذه الفترة الأصل الأول لبواكير العمل المسرحي المغربي، وكانت مدينة وجدة، عاصمة الشرق المغربي، التي لم تكن فيها خشبة المسرح مجرد منصة للترفيه، بل ساحة نضال فكري وثقافي بامتياز خلال فترة الاستعمار. فمع دخول قوات الاحتلال الفرنسي إلى المدينة عام 1907م، سعت سلطات الحماية إلى توظيف الفن الرابع كأداة "لترسيخ الفكر الاستعماري في نفوس المواطنين المغاربة، ومحاولة إبهارهم بحضارة أوروبا قصد طمس ثقافتهم وتقاليدهم الوطنية". ولم تكتفِ هذه السلطات بالرقابة، بل عملت على إنشاء فضاءات مسرحية؛ يُعرض على خشبتها ما يزيد على أربعين عملا مسرحيا بالفرنسية والدارجة المغربية، بأسلوب كوميدي تعليمي يمجّد أمجاد المستعمر.

لكن هذه السياسة أتت بنتائج عكسية، إذ سرعان ما انقلبت الآلة على صانعها. بعد أن تعلم جيل من التلاميذ المغاربة في مدارس مثل "سيدي زيان" و"مدرسة الترقي" أدوات هذا الفن وجمالياته، حينها تحولت الكلمة المسرحية إلى سلاح فتاك ضد الوجود الأجنبي.

-مدخل:

ها هو المسرح المغربي ينتقل في سرعة خاطفة خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة من أشكال التمثيل الشعبية المتوارثة في بلادنا (الحلقة، البساط، المداح...) إلى أكثر الأشكال المسرحية تنوعا وحداثة وتجريبا وتطورا تقنيا، هو المسرح السياسي، والمسرح التراثي، ثم المسرح الديني... ففعلا استطاع كتابه وفنانوه كل من جهته واستطاعته، وفق الوسائل المتوفرة بين أيديهم وبقدر احتمال مجهودهم، تكييف هذه الأشكال المسرحية المتباينة مع الواقع الثقافي والاجتماعي لبلادهم، ومع الإمكانيات المادية والفنية والتنظيمية المحدودة، ومع البنيات القانونية الرقابية الهشة (الذكية و البليدة في نفس الوقت).

تعتبر مدينة وجدة بدون منازع مدينة من المدن المغربية جغرافيا وتاريخيا تختلف عن كل المدن الأخرى، فهي بوابة المغرب وواجهته ومقدمته من الجهة الشرقية. إذ كان لها السبق في كل شيء في الصراع العسكري مع الأجنبي، وفي المواجهة الثقافية مع الثقافات الأخرى، وبالتالي فكانت سابقة في مجال المسرح.

استلهم المثقفون والفنانون روح المقاومة، وقدموا أعمالا مسرحية ذات نزعة قومية جارحة، كان أبرزها مسرحية "عروس القدس" التي جسدت المدينة المقدسة في صورة امرأة تنادي أبطال أمثال صلاح **الدين الأيوبي وعبد الكريم الخطابي،** وتدعو بأسلوب حماسي صاعد وشاحذ للهمم نحو الوحدة والتضامن في مواجهة المستعمر.

هذا التحول جعل السلطات الاستعمارية تشعر بالخطر، فانتقلت من سياسة التوجيه إلى القمع الممنهج، حيث كانت تقتحم فضاءات التدريب وتعرقل عمل الفنانين، وسارعت إلى إغلاق المدارس التي تحتضن هذه الأنشطة ونفي مسؤوليها. غير أن هذه الممارسات القمعية

لم تفلح في إخماد روح الإبداع، بل أثبتت أن الحركة المسرحية في وجدة كانت انعكاسا صادقا لمدى وعي المجتمع المغربي بخطورة المرحلة، وشاهدا حيا على أن الكلمة المستنيرة كانت ولا تزال أقوى من الرصاصة.

إذا تجاوزنا هذه الأشكال المسرحية إلى الحديث عن المسرح بمعناه الأوروبي، سنجد أن أول جمعية بدأت تهتم بالمسرح بشكل منظم هي "الجمعية الأندلسية للطرب والمسرح والآداب" التي تأسست سنة 1921م، مع ظهور المسرح أول الأمر في بعض المدن المغربية كفاس التي عرفت أول عرض مسرحي عربي سنة 1923م، على إثر الزيارة التي قامت بها فرقة **فاطمة رشدي** المصرية رفقة الفنان **محمد عز الدين**. حيث قدمت مسرحية "صلاح الدين الأيوبي"، وكانت هذه الزيارة هي الحافز المباشر لتدشين حركة مسرحية وطنية على يد بعض التلاميذ والمهتمين، في مختلف المدن المغربية كفاس نفسها والدار البيضاء، والرباط ومراكش ووجدة وغيرها...[1].

-المبحث الأول: البوادر الأولى للحركة المسرحية بمدينة وجدة

إلى جانب الجمعية الأندلسية، كان تلاميذ " مدرسة سيدي زيان " يقدمون في مختلف المناسبات – وفي آخر السنة الدراسية على وجه الخصوص – مسرحيات وسكيتشات. وكان المدرسون الفرنسيون هم الذين يشرفون على هذه المسرحيات، لذلك غالبا ما كانت عبارة عن مقاطع من الكوميديا الفرنسية، ولاسيما (المولييريات) Les Molières، أو مقاطع مسرحية قصيرة تهدف إلى الإشادة بفرنسا وتاريخها وأمجادها وتقاليدها. كل ذلك طبعا من أجل ترسيخ الفكر الاستعماري في نفوس المواطنين المغاربة، ومحاولة إبهارهم بحضارة أوروبا قصد طمس ثقافتهم وتقاليدهم الوطنية. وقد أكد لنا الأستاذ **يحي لعتيقي** أنه شارك في بعض العروض ما بين سنة 1932– 1933 م وهو تلميذ آنذاك في مدرسة "سيدي زيان"، وكانت هذه العروض المسرحية تقام على مسرح الهواء الطلق داخل الحديقة، التي كان يطلق عليها اسم Le parc. وهو الذي يحمل اليوم اسم "حديقة للاعائشة"، وما زال ذلك المسرح قائما إلى يومنا هذا على يمين المدخل الرئيسي للحديقة، وقد بناه رئيس المجلس البلدي آنذاك Le chef service Municipal الذي كان يسمى René le maitre. وهو رجل فن متخصص في الحدائق، وله يعزى الفضل في تقديم كثير من الأعمال المسرحية بالفرنسية والدارجة المغربية. كما أنه كان يشرف كذلك على تدريب التلاميذ على فن الميم وإعداد الممثل، وكانت الإدارة الفرنسية تتكلف بأداء واجب الديكور والملابس وغيرها، من لوازم العرض المسرحي[2].

غير أنه منذ بداية الثلاثينات ومباشرة بعد الإعلان عن ظهير 16 مايو 1930م، بدأ الوطنيون يفكرون في خلق قنواتهم التواصلية الوطنية للنضال ضد المستعمر. وهكذا فكروا في إنشاء المدارس الوطنية الحرة التي من شأنها أن تعيد للمواطن ثقته بلغته، وتاريخه وأصالة تقاليده من جهة، وأن تتكلف بتقديم مسرح وطني يخدم القضية الوطنية الأم، ويكون بديلا للمسرح الاستعماري من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد يورد المرحوم **قدور الورطاسي** كيف أن الوطنيين في وجدة بعثوا إلى إخوانهم في فاس سنة 1934م، يستشيرونهم في أمر تأسيس مدرسة حرة بوجدة. وبالفعل تم تأسيس هذه المدرسة الحرة الأولى بوجدة وأطلق عليها اسم "مدرسة أهل فاس"، وأسندت إدارتها للأستاذ **عبد السلام الوزاني**، الشيء الذي أثار حفيظة المستعمر الفرنسي ليؤسس مدرسة أخرى لمقاومتها سماها "مدرسة أهالي وجدة"، أو "المدرسة الأهلية" l' école Urbaine ، لتتحول بعد ذلك إلى "المدرسة الفرنسية الإسلامية" l'école franco Musulmane[3].

وبظهور المدارس الحرة ستبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المسرح بمدينة وجدة، لأن هذه المدارس ستضطلع بمهمة نشر الوعي السياسي والديني، والوطني والثقافي. فمن المعلوم أن هذه المدارس أسست بإشراف قادة الحركة الوطنية، وكان من أهدافها الأساسية محاربة المستعمر عن طريق نشر العلم، وإعادة الاعتبار للغة العربية التي حاول المستعمر طمسها بكل أساليبه الدنيئة، خاصة أن لغة المسرحيات التي كان يشرف عليها المستعمر هي الفرنسية أو الدارجة المغربية. لهذا فأول شيء ركزت عليه هذه المدارس الوطنية الحرة، هو ترويج اللغة العربية من خلال الدروس والمحاضرات والأنشطة الثقافية والفنية.[4]

ولما كان المسرح من أنجع الفنون وأقدرها على خلق التواصل المباشر والحي مع الجمهور، فقد جعلته هذه المدارس من بين أول اهتماماتها، وقد بدأت أنشطتها بشكل محتشم نظرا إلى قلة التكوين وانعدام المؤطرين الأكفاء، في مقابل المؤطرين الفرنسيين الذين كانوا على دراية بأصول فن المسرح. ولكن مع ذلك فقد كانت هذه المدارس تقوم أول الأمر بعرض بعض السكيتشات التعليمية داخل حجرات الدرس أو في بعض الدور القديمة، فقد كان المسؤولون عن المدارس الحرة غالبا ما يعلنون عن تقديم عرض مسرحي، لا لشيء إلا ليكون مناسبة التقاء المناضلين. بمعنى آخر أن المسرح صار يقوم بوظيفتين: الأولى هي أنه "عمل فني" يساهم في تربية الروح وتغذية العقل، وتحسيس المواطن المغربي بقضيته ووطنيته ولغته ودينه، والثانية هي أنه "وسيلة لالتقاء الوطنيين" لتمرير بعض المنشورات أو الرسائل، وتبادل الرأي والمشورة، وتقديم التعليمات والأوامر من القادة.

هكذا بدأت هذه المدارس الحرة تتكاثر نظرا إلى الدور الوطني المنوط بها، والملاحظ أن اختيار أسماء هذه المدارس لم يكن اعتباطيا، لأنها تحمل من الدلالات الوطنية ما يغني عن كل تعليق، فكلمات مثل؛ العروبة، القرآن الكريم، الترقي، زيري... إلخ. تفيد كلها مدى تمسك سكان مدينة وجدة بوطنيتهم ودينهم وتاريخهم، مناهضة منهم للاستعمار الذي كان يسعى بكل الوسائل إلى طمس كل ذلك كما ذكرنا آنفا.[5]

ومن بين هذه المدارس الحرة النشيطة في المجال المسرحي، "مدرسة الترقي" وقد كان يديرها الأستاذ **أحمد زكي بوخريص**، وهو مناضل من فاس انتدبه "حزب الاستقلال" كي يتكفل بتنشيط الحركة المسرحية والكشفية في وجدة، ويعد من أهم الأطر السياسية والفنية التي تركت بصمات هامة على الحركة الوطنية عامة بهذه المدينة. فمباشرة بعد وصوله إلى مدينة وجدة قدم مسرحية بعنوان "حصان عربي"، وهي مسرحية سياسية شديدة الإيحاء، كتبت باللغة العربية الفصحى.

1. مسرحية "حصان عربي":

تحكي عن إنسان عربي شهم ركب حصانه الأصيل، فالتقى بيهودي راجل طلب منه أن يحمله معه، ونظرا إلى شهامة العربي، فقد حمله معه. وأثناء الطريق بدأ الحوار بينهما يكشف عن مغزى المسرحية عامة، بشكل فيه من الذكاء ما يؤكد مدى الشأن الذي بلغه المسرح بوجدة خلال الفترة الأولى من بدايات المسرح المغربي عامة، ونظرا لأهمية تلك المسرحية سنلخص مضمونها فيما يلي:

بعد حوار بينهما حول الحصان يقول اليهودي للعربي:

–اليهودي: ما أجمل حصانك أيها العربي!

وبعد حوار آخر يغير من الصيغة ليقول.

–اليهودي: ما أجمل هذا الحصان (دون تأكيد نسبة الحصان للعربي).

وفي هذه الأثناء بدأ العربي يتساءل في صمت عن سبب تغييره لصيغة السؤال؟ وبعد حوار آخر يطور اليهودي صيغته ليقول:

–اليهودي: ما أجمل حصاننا هذا !

فاستغرب العربي لهذا التدرج في تطوير صيغة الحوار عند اليهودي ثم أجابه:

–العربي: هل تمزح ؟

ثم تطور الحديث ليقول اليهودي في الأخير متدرجا في حواره:

-اليهودي: إن حصاننا هذا...

ثم قاطعه العربي بعد أن تأكد من خبث نواياه:

-العربي: انزل قبل أن تقول ما أجمل حصاني هذا.[6]

واضح إذن المنحى السياسي ذي الطابع الرمزي للمسرحية، وقد قدمت سنة 1946م بمناسبة عيد العرش الذي كان رمزا للوطنية والوحدة، وقام بإخراجها الأستاذ **أحمد زكي بوخريص**. وأدى دور العربي فيها الأستاذ **محمد حرفي** الذي يعد من كبار المناضلين بمدينة وجدة، حيث تقلد مسؤولية الكتابة العامة لفرع نقابة "الاتحاد المغربي للشغل" بوجدة، وذاق مرارة الاعتقال مرارا وتكرارا.

ويذكر الأستاذ **محمد حرفي** أن الفنان **أحمد زكي بوخريص** هو الذي كان يشرف على تدريب التلاميذ، وكانت التداريب غالبا ما تقام داخل المدرسة، أو في بعض الأماكن النائية عن المدينة " كوادي الناشف " و"ساحة سيدي يحيي". ولما كانت الرقابة الاستعمارية شديدة على كل تحركات الوطنيين وأنشطتهم السياسية والثقافية، فقد كان تلاميذ المدرسة الحرة ينضمون إلى الكشافة في رحلاتهم خارج المدينة ليقوموا بتداريبهم بشيء من الحرية. وكانت " ضيعة أولاد ابن زعزوع " في ""طريق العونية من بين الأماكن المفضلة عندهم للتدريب على عروضهم المسرحية، إلا أن عين الرقيب لم تكن لتنام، إذ كان هؤلاء الوطنيين محاصرين باستمرار، وكانت تعترض أعمالهم المسرحية كثير من العراقيل.

وفي سنة 1947م أعد الأستاذ **أحمد زكي بوخريص** مسرحية ثانية بعنوان "عروس القدس".

2. مسرحية "عروس القدس":

هي مسرحية سياسية ذات اتجاه قومي تدعو إلى الوحدة العربية، " فالقدس" تحولت إلى امرأة، وصارت تنادي أبنائها الأبطال الواحد تلو الآخر، من أمثال؛ **صلاح الدين الأيوبي**، و**عبد الكريم الخطابي**، و**الأمير عبد القادر** وغيرهم... وتدعوهم إلى الوحدة. إلا أنه أثناء التداريب أغلقت السلطات الفرنسية (مدرسة الترقي) وقامت بنفي المسؤولين عنها. أما الطلبة فتفرقوا، فمنهم من غادر الدراسة نهائيا، ومنهم من التحق بمدرسة أخرى؛ وظلت المسرحية مشروعا لم يكتمل[7].

نظرا إلى الاتصالات التي كانت دائبة بين مناضلي وجدة، ومناضلي المناطق المغربية الأخرى، فقد كانت تصل إلى وجدة الأصداء الطيبة عما بلغه المسرح، في كل من فاس والرباط والدار البيضاء ومراكش، وغيرها من المدن التي بدأ المسرح فيها يترسخ شيئا فشيئا.

تجدر الإشارة إلى أن مدينة وجدة خلال بداية الأربعينيات، إلى حدود 1945م عرفت ركودا واضحا في الحركة المسرحية، بسبب الانشغال العام بالحرب العالمية الثانية، وما سيترتب عنها من نتائج أولا، وبما أسفرت عنه وثيقة المطالبة بالاستقلال من نتائج زعزعت المستعمر حتى راح يصادر كل نشاط ثقافي وفني يصدر عن المغاربة. و لم يكن هذا شأن المسرح في وجدة وحدها، ولكنه كان شأن المسرح المغربي عامة، يقول الدكتور **حسن المنيعي**: " لقد عرف المسرح المغربي ركودا عميقا بعد سنة 1940م، ذلك أن الحرب العالمية الثانية، والرقابة كانتا تعرقلان كل طفرة تصدر من الشباب، وبذلك فإن هذه الحالة قد تولدت عنها صعوبات كثيرة، جعلت أولئك الشبان يبتعدون عن كل نشاط أدبي"[8].

-المبحث الثاني: الدور المنوط للمدارس الحرة في انتعاش الحركة المسرحية بوجدة

وفي بداية الخمسينات، ستنتعش الحركة المسرحية بوجدة من جديد بفضل كثرة المدارس الحرة وتنافسها فيما بينها من جهة، وبينها وبين المدارس الرسمية من جهة أخرى، وكذا بفضل اتساع الحس الوطني وحرص المغاربة على الاستقلال الفعلي، مباشرة بعد تقديم عريضة

الاستقلال، وانتهاء الحرب العالمية الثانية، وما نتج عنها من تأسيس مؤسسات جديدة تحث على حقوق الشعوب وحريتها في تقرير مصيرها، "كمجلس الأمن" و"منظمات حقوق الإنسان "، وغيرها...

فقد رأينا أن المستعمر أمر بإغلاق "مدرسة الترقي" بعد أن اعتقل بعض المسؤولين عن إدارتها، وأشرنا إلى أن طلبتها تفرقوا قبل أن ينهوا المسرحية التي كانوا يتدربون عليها. ومن أهم هؤلاء الطلبة نذكر الأستاذ **محمد حرفي**، الذي كان له الدور الكبير في تأسيس مسرح وطني هادف بمدينة وجدة. فمباشرة بعد مغادرته مدرسة الترقي، انضم إلى مدرسة " القرآن الكريم "سنة 1949م، وعمل على تأسيس جمعية مسرحية نشيطة تابعة للمدرسة، وكانت الجمعية تقدم السكيتشات، ومسرحيات تعليمية ذات صبغة وطنية، في بعض المناسبات ولاسيما بمناسبة عيد العرش. ومن بين المسرحيات التي قدمتها هذه الجمعية المدرسية مسرحية "علي كوجيا" عام 1949م. هي مسرحية معدة عن إحدى حكايات ألف ليلة وليلة ذات بعد أخلاقي اجتماعي، ومفادها أن الخليفة **هارون الرشيد** خرج متنكرا مع وزيره **جعفر البرمكي**، فوجد أطفالا يلعبون لعبة المحكمة. حيث يحكم القاضي في قضية شخص خان الأمانة بعد أن ترك عنده زميل له ذهبا، فسرقه وادعى أنه لم يترك له غير زيتون، بيد أن القاضي لما فتش الجرة وجد أن الزيتون حديث العهد، فتيقن أن المؤتمن خان الأمانة وبذلك حكم لصاحبها، وقد قام بدور القاضي في هذه المسرحية **محمد حرفي** نفسه[9].

وبمناسبة عيد العرش في سنة 1951م، قدمت الجمعية مسرحية وطنية هادفة بعنوان "المرأة التي تتحدث بالقرآن". وإلى جانب **محمد حرفي** شاركت فيها **فتيحة دندان**، وتحاول هذه المسرحية أن تسترجع بعض القيم العربية الإسلامية من منظور إسلامي خدمة للقضية الوطنية الأم، وكانت مثل هذه الأعمال تثير حماس المتفرجين وتحيي فيهم النخوة وتذكي الهمم، لهذا كان المستعمر غالبا ما يقابلها بالمصادرة والتعسف.[10]

وتعتبر سنة 1952م فترة هامة في تاريخ المسرح المغربي عامة وتاريخ المسرح في وجدة بوجه خاص، ففي هذه السنة نظم أول تدريب مسرحي علمي منظم بالمغرب. وكان يشرف عليه الفرنسيان: (أندري فوازان) André Bazin (1991- 1923م) أول مشرف على معهد الأبحاث المسرحية بالمغرب في سنة 1952م، رفقة (بيار ريشي) (Reishi Pyaar) والمسرحي المغربي **عبد الله شقرون**. وكانت التداريب تقام في "مركز المعمورة" التابع لوزارة الشبيبة والرياضة، وكان هذا التدريب بداية عهد جديد في المسرح المغربي، إذ بدأت أفواج المسرحيين المغاربة تفد سنويا على هذا المركز لتتعلم مبادئ الإخراج والتشخيص والديكور، والإضاءة والموسيقى وكل لوازم العرض المسرحي. وقد تخرج منه كبار المسرحيين المعروفين في المغرب من أمثال: **الطيب الصديقي وأحمد الطيب لعلج، وفاطمة الركراكي وعبد الصمد الكنفاوي، وعبد الرزاق حكم والعربي الدغمي**، وغيرهم من المبدعين الذين ما زالوا يغنون الساحة الوطنية بعطاءاتهم[11].

لم تكن المنطقة الشرقية من المغرب بمنأى عن كل هذه الأحداث الفنية، ففي سنة 1952م نفسها تكونت بمدينة سيدي بوبكر المنجمية، جمعية تحمل اسم "الحجرة السوداء" برئاسة الفنان **الفيزازي العياشي**، وتأطير المهندس الفرنسي (شليك) Schlick، الذي كان مسؤولا عن الجانب الفني والمسرحي خاصة "بشركة مفاحم زليجا". وقد كان **الفيزازي العياشي** أول فنان وجدي، استفاد من أول تدريب مسرحي أقيم "بالمعمورة" سنة 1952م.

وقد كانت هذه الجمعية تقدم عملا مسرحيا سنويا بمناسبة عيد المنجمين، الذي كان يقام في 4 دجنبر من كل سنة. أما خلال شهر رمضان فكانت الأنشطة مكثفة، ولاسيما السكيتشات والحفلات الغنائية[12].

ومن المؤكد أن هذه التداريب قد أثرت بشكل كبير على المسرح بمدينة وجدة، أضف إلى ذلك الحماس الوطني، الذي كان يعتري كل المغاربة وشدة حرصهم على الاستقلال، خصوصا بعد أحداث مدينة وجدة لسنة 1953م وما رافقها، من تحد وصمود واضحين تأكيدا لرغبة كافة المواطنين في الاستقلال.

وبالفعل فقد كانت سنة 1955م بمثابة عهد جديد في تاريخ المغرب الحديث، لأنها تؤرخ لعودة الملك الشرعي إلى عرشه، وهو ما يعني الاستقلال الفعلي. لذا فما أن سمع بالخبر بعض الطلبة الوجديين الذين كانوا يدرسون بجامعة "القرويين" بفاس، حتى قرروا أن يحتفلوا مسرحيا بهذا الحدث السعيد. وعلى الفور أسسوا جمعية مسرحية أطلقوا عليها اسم "جمعية الطالب الوجدي الاستقلالي"، ولما كان الأستاذ **محمد حرفي** يتوفر على كتاب "الوعد الحق" **لطه حسين**، فقد أشار عليهم بأن يقوم بإعداده لتقديمه يوم 18 نونبر من سنة 1955م، كي يكون العرض المسرحي أول هدية تقدمها الجمعية للجمهور الوجدي، بمناسبة أول عيد للعرش. وهكذا اجتمع هؤلاء الطلبة وبدؤوا يتدربون على هذا العمل في فندق شعبي، عبارة عن إسطبل قرب سينما النصر، وقدموه بإشراف نقابة "الاتحاد المغربي للشغل"[13].

مباشرة بعد الإعلان الرسمي عن الاستقلال، بدأت الجمعيات تتوالد، وأصبح عدد روادها يتزايد يوما بعد يوم في كافة أرجاء الوطن. لذا فلا نستغرب أن تتنافس فيما بينها لتبدع في العروض المسرحية، وبما أن "جمعية النجاح" كانت تعد من أهم الجمعيات المسرحية التي برزت خلال هذه الفترة، فقد كان طبيعيا أن تسجل حضورها المتميز بمجموعة من الأعمال التي تعكس مواقفها الوطنية، وكانت مسرحية "في سبيل التاج" تعبيرا واضحا عن ذلك. وتلتها مسرحيات أخرى تسير في نفس الاتجاه، وإن كانت الجمعية تقدم من حين لآخر عروضا اجتماعية في قالب فكاهي استجابة لحاجة الجمهور – آنذاك – إلى نوع من المرح بعد سنوات القمع التي عاشوها تحت سيطرة المستعمر. ولما كانت الجمعية منضوية تحت لواء حزب الاستقلال، فقد كان المسؤولون عنها هم الذين يبرمجون العروض، ويهيؤون ظروف تقديمها خارج مدينة وجدة...[14].

إن استعراضنا لنضال هؤلاء الرواد من أجل ترسيخ دعائم المسرح العربي في مدينة وجدة، قد جعلنا نتتبع خطوات الحركة المسرحية من منظور تاريخي. وهذا راجع لأمرين أساسيين: الأول مرتبط بكوننا سعينا قدر الإمكان إلى التركيز — في هذا القسم — على إظهار الريبرتوار المسرحي لمدينة وجدة، لأنه ظل مجهولا أمدا طويلا، و لم يدون بالكتابة أو بالتصوير، بل و لم يشر إليه ولو إشارة عابرة توحي بوجوده في هذه المدينة. أما الثاني، فيتعلق بغياب نصوص مسرحية تامة أو عروض مصورة، باستثناء بعض الفصول والمشاهد من مسرحيات لهذه الجمعية أو تلك.

وللإشارة، فهذا النضال المسرحي لم يقتصر فقط على مدن طنجة وفاس، وتطوان ووجدة بل شمل مختلف المدن المغربية، حتى أننا نجد مثلا في الدار البيضاء **رشاد بوشعيب** رئيس "جمعية التمثيل البيضاوية" في سنه 1942م، وكان في أعماله يؤكد على العمل المسلح، ويعتمد على تحميس الجماهير من خلال أشكال الخطاب الموجه إليها، فنجد في إحدى مسرحياته يقول:

–"الأزرق والأبيض والأحمر ماشي رايتك...رايتنا حمراء وفيها نجمة خضراء، أفيق من الكلبة راها راية النصارى هاديك..."[15].

قدمت هذه الجمعية مسرحيات عديدة حتى تم توقيفها قبل الاستقلال، "كالأرض الطيبة "سنة 1943م، وهي تحليل لواقع الاستغلال الممارس ضد الشعب المغربي، من طرف المستعمر الفرنسي، والممثل في شخص فلاح صغير تنتزع منه أرضه من قبل فلاح فرنسي، ومسرحية "دماء الشهداء " سنة 1945م، التي عرضت بعد تقديم وثيقة الاستقلال. وقد بادرت قوات المستعمر لتوقيف العرض قبل نهايته، واعتقال الممثلين وتشتيت المتفرجين[16].

على سبيل الختم:

لقد حاول هؤلاء الرواد من خلال تجاربهم الأولى أن يستغلوا التاريخ تذكيرا للأمجاد الغابرة، وأن يستفيدوا من الصراعات الاجتماعية ليبثوا من خلالها أفكارهم وقيمهم الوطنية والإنسانية، إذ ربطوا الخشبة بوظيفتها التاريخية وجوهرها الحقيقي حيث (سيسوه)، و(ربطوه) بعجلة الحياة الثقافية الوطنية القومية، لضرب الإدارة الاستعمارية في صميم أهدافها الثقافية.

وهذا شيء طبيعي أن تكون التظاهرات المسرحية عبارة عن إفرازات طبيعية لواقع الشعب، باعتبار أن كل حركة ناشئة لابد وأن تلتفت أول أمرها إلى ظروفها الداخلية وأحوالها الاجتماعية، فكان من الطبيعي أن تتحرك كل الفرق المسرحية في خط واحد. ما دامت التجربة واحدة، وهي النضال في سبيل تحرير الوطن واستقلاله فكانت معادلة الصراع كالتالي:

مستعمَر	ضد	مستعمر
مسلم	ضد	كافر
قومية عربية	ضد	قومية أجنبية
لغة عربية	ضد	لغة فرنسية/إسبانية

الهوامش:

[1]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجده من التأسيس إلى الحداثة**، منشورات كلية الآداب و =العلوم الإنسانية، وجدة، 1996م، 15.

[2]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 24.

[3]– قدور الورطاسي، **معالم من تاريخ وجدة**، (الرباط: مطبعة الرسالة ،1972م)، 67.

[4]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 26.

[5]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، منشورات جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 1996م، 28.

[6]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 30.

[7]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 31.

[8]– حسن المنيعي، **أبحاث في المسرح المغربي**، منشورات كلية الآداب والعلوم والإنسانية، وجدة، 1994م، 56.

[9] – مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 34.

[10]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 35.

[11]– نفسه، 36

[12]– نفسه، 37.

[13]– نفسه، 38.

[14]– مصطفى رمضاني، **الحركة المسرحية بوجدة من التأسيس إلى الحداثة**، 40.

[15]– إدريس، الناقوري، "المقاومة في المسرح المغربي"، **سلسلة دراسات تحليلية**، العدد 6، الدار البيضاء، 1985م، 45.

[16]– إدريس، الناقوري، "المقاومة في المسرح المغربي"، 46.